الجَوهرُ المَكنونُ لِلإخوَانِ

فِي مَنَاقِبِ القُطْبِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَحْجُوبِ ابْنِ خَتْمِ أَهْلِ العِرْفَانِ

تَأْلِيفُ
الخَلِيفَةِ الجُزُولِيّ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِهِ الْإِعَانَةُ بدْءًا وَخَتْمًا

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ذَاتًا وَوَصْفًا وَاسْمًا

الحمدُ لله الذي جعل آل بيت نبيه سفينة نجاة المحبين، وأوليـاءه العروة الوثقى لمن بهم متعلِّقين، ومن أحبَّ الفئتين فاز بخير الدارين، ومن أعرض عن حبهما باء بالخسران في المحلين. أحمده على نعمـه ومِنْ أجلِّها قدرًا اتصالنا لمن جمع الله لـه القـامَيْن، أعظـم بـه فخـرًا، وأشكره على ودنا لوليه المحجوب، ووالده أستاذنا الختم المحبـوب، وأشهد أن لا إله إلا الله، الذي شرَّفنا بحب أوليائه، وأشهد أن سيدنا مُحمّد الذي سلك بنا نهجه أهل بيته أصفيائه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآله وصحبه وخلفائه.

وبعدُ، يقول الفقيرُ إلى مدد أشياخه وحبهم عالي الخطاب، الحقير الجزولي بن عبد الوهاب: هذه نبذة جعلتها تُتلـى فـي المجـامع مـع الخلان، في مناقب القطب ابن أستاذنا الختم الحبر سيدي المحجوب غوث الإخوان، ورتَّبته على ثلاثة فصول وخاتمـة، رزقنـا الله حُسـن الخاتمة، وسميته: «الجوهر المكنون للإخوان في مناقب سيدي عبـد الله المحجوب بن ختم العرفان»، سقانا الله من صافي شرابه الحنان.

الفصل الأول: في مولده واسمه ولقبه ونسبه ونشأته وخَلقه وخُلقه. الفصل الثاني: في سلوكه ونهجه وبعض سيرته. الفصل الثالث: في بعض كراماته وإغاثاته وما شوهد منه في حياته وبعد موته. والخاتمة: في وفاته وموضع قبره وفضل رمسه.

الفصل الأول
في مولده واسمه ولقبه ونسبه
ونشأته وخَلقه وخُلقه

وُلِد بقرية تسمى السنية، فزارها والده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى أقام بها سنوات، وانتقل إليها فيها من ينتسب في تلك الديانة والتسنن، أقام الجُمعة بها ولم تكن بتلك الديار. وكانت ولادته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة العاشر من شهر اللَّه رجب الأصم الأصب، موضع الرحمة يرحب، ليلة الجمعة الشريفة، وكانت ليلة مزهرة ظريفة، وذاك عام ألف ومائتين وأربع وأربعين من هجرة سيد المرسلين، صلى اللَّه عليه رب العالمين.

وأما اسمه ولقبه: فاسمه عبد اللَّه سمَّاه أبوه سيدي الأستاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإشارةٍ من صاحب النذارة والبشارة، ولُقِّب بالمحجوب، لقب جد والده صاحب السر الموهوب.

وأما نسبه: فهو الفرد الولي صاحب الشأن الأعلى والقدر الأغلى، ظاهر البركات حياتًا ومماتًا، سيدي ومولاي السيد عبد اللَّه المحجوب الميرغني، ابن سيدي الأستاذ السيد محمد عثمان كان للجميع الغني، وشهرة والده تكفي عن ترجمته، ابن الولي الصالح الأفخر، سيدي مُحمّد أبي بكر، ابن العارف باللَّه تعالى، صاحب الكرامات المشهورة والآثار المنثورة، سيدي عبد اللَّه المحجوب الأعلى، أغاثنا اللَّه ببركتهم الجميع الولي.

وأما نشأته: فنشأ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الأدب والحلم والأحوال المرضية عند اللَّه والبرية، وقرأ كتاب اللَّه عن ظهر غيب، وأخذ في طلب العلم وهو من أهل الحال بلا ريب.

وأما خَلْقه: فكان مربوعِ القامة، أقرب إلى الطول منه إلى القصر، جميل الخلقة، كأنَّ وجهه هالة البدر، مستقيم الأنف، كثير شعر الحواجب، كأنَّ عيناه ياقوتتان مكحولتان بنور اللَّه ذو المواهب، وعنقه كجيد الغزالة، أو إبريق فضة، إذا ضحك كأنَّ شفتاه إذا بدت أسنانه عن در نُضّد. والحاصل أنه قد احتوى على أكمل صور الجمال، كأنه ملَك أو آية من آيات اللَّه تعالى المتعال.

وأما أخلاقه: فكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حليمًا، بارًّا بالإخوان، رحيمًا، كان يحب مجالس الفقراء كثيرًا، ويُلاطفهم ويُحاسنهم ويودونه وُدًّا

عزيزًا، وذلك لاعتنائه بهم، وقضاء حوائجهم عند والده، يغضب لغضبهم، ويفرح لفرحهم، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بارًّا بوالده، لا يطيق تكدره أصلاً، حيث أخبرني بعض الإخوان: أن والده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما كان إذا أمره بأمرٍ، وهو في شدة المرض يفعله، ولو كان شَاقًّا عليه، ويقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخشى من كدر والدي بترك هذا الغرض. وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صبورًا على الشدائد، كأنه من كبار الرجال ذووا المعاهد. والحاصل إن مكارم أخلاقه تضيق عنها هذه النبذة القليلة، لعظم أخلاقه الجليلة.

الفصل الثاني
في سلوكه ونهجه وبعض سِيَره

وأما سلوكه: فكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من ابتداء نشأته متحليًا بالرحمة، متخلقًا بالرأفة، دخل المكتبة وهو ابن ثلاث سنوات، وختم القرآن بعد مضي بعض أوقات، ثم درسه عن ظهر غيب، وأتقن حفظه بلا ريب. وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا تلى يسمع منه الكتاب، ويحصل التلذذ بسماعه بفضل رب الأرباب، وإذا قرأ كأنه ينثر الدر، ويحسن قراءته لما بها من سر، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له فهم ثاقب، وهمة عالية لنيل المراتب، وأخذ في طلب العلوم والسر المكتوم، فقرأ النحو والفقه

والتوحيد، ويحضر عند والده حين قراءة الإخوان عليه تفسير القـرآن المجيد والحديث وكلام القوم الفريد.

وأخذ الطريقة عن والده الأستاذ والشهم المـلاذ، وفـتح اللّٰه عـين بصيرته، وكان يخبر أنه يشاهد السماوات والعرش والكرسي، ويقول في بعض الأحيان: الآن في السماوات، ويخبر كثيرًا بآيات باهرات، ومـع ذلك قد توفي دون البلوغ في صغر سنه، فسبحان من اصطفاه وخصه بمننه، جلَّ من يهب ما يشاء لمن يشاء، فضلاً منه وإكرامًا وإعطاء.

وكان والده وأهل بيته والإخوان، يذكرون بركات كثيـرات عيـان، منها: أن الدنيا كانت قبل وجوده معهم قليلة، ومن حين ولادته وسَّع اللّٰه عليهم بنِعَمٍ جليلة، وصاروا فـي غايـة الاتسـاع مـأكلاً ومشـربًا وركوبًا ولباس، وغير ذلك من بركاته التي يضيق عنها الكراس، وكـان يظنون سائر الخلق في كل الأقاليم من الحجاز ومصر والسودان ومصر وباقي الأقاليم، أنه خليفة والده، وحُسن ظنهم بسـائر إخوانـه، ولكـن الحكم للّٰه وما شاء قضاه وأمضاه، ونسأل اللّٰه أن يعمنا ببركاته، وينـزل على جمعنا هذا من أنوار فيوضاته.

الفصل الثالث
في بعض كراماته وإغاثاته
وما شُوهد منه في حياته وبعد موته

وهذا الفصلُ على كلام كثير وهو عزيز، محتاجٌ لكراريس عديـدة، فنأت عنا بنزر من تلك الأسرار فريدة، فمن ذلك ما أخبرنا به سـيدنا الأستاذ والده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن موته والصلاة عليه حضرها المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جالس بين الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمـا، وأشار له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفاتحة التي رتبت في الراتب.

وأخبرنـا الشـاب الأديـب والحـاذق اللبيـب، صـاحب الأحـوال الصادقة والأسرار البارقة، من أهل مكة من خواص الأسـتاذ، سـيدي الختم الشـهم المـلاذ، عبـد اللَّه بـن بشـارة: أنـه رأى السـيد سـيدي المحجوب المذكور، أنه يلاعبه بحالة فرح وسرور، فقلتُ له: ما هذا يا سيدي؟، أخبرني بشيء ينفعني، فأخذ بيدي وزجَّ بي في بحر نور، ثم إلى بحر ثانٍ، ثم إلى بحار من نور، حتى خشيتُ على نفسي من الثبور، فأصبح مريضًا، فمن ثَمَّ حصل له الفتح والحال، ودام عليه المرض نحو خمسة عشر يومًا بلياليها.

وأخبرنا الشاب العفيف الحاذق الصادق، من خواص الأستاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، محمد علي بن نور البركاوي من أهالي المحس: أنه قدم من

مكة المشرفة إلى المدينة المنورة، وحين قدومه أمره سيدي المحجوب، وقال له: إذا وصلت إلى المدينة، فأمضي إلى قبر والدتي مدفونة بالبقيع، واقرأ عند رأسها {يس}، فلما وصل لم يخبر القبر وتوانى، فرأى سيدي السيد المحجوب فقال له: لم لا ذهبت؟، فقال له: ما خبرتُ القبر ولا وجدتُ من يدلني عليه، فدلَّه عليه بعلامة، فذهب فوجدها كما قال سيدي المحجوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخبرنا الشاب الصادق الحاذق الأديب، الأخ أحمد النجيب، من خواص الأستاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه جاء قادمًا إلى بيت اللَّه الحرام، ومعه جمع من الإخوان إلى القصير كمل الزاد عليهم، وتعطَّلت السواعي عليهم، وتمرد أربابها عليهم، واشتد الأمر عليهم، فاستغاثوا بسيدي السيد المحجوب، فما مضى عليهم يومين إلا فرَّج اللَّه عليهم ببركته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخبرنا الشاب التقي، خليفة شيخنا النقي، مُحمّد بن عمر، كان لي وله البر: أنه كان راكبًا في سفينة من بحر المالح، فاشتدّ عليهم الريح، حتى كادوا أن يهلكوا فاستغاثوا بحال صريح، فإذا هم بسيدي عبد اللَّه المحجوب بمقدم السفينة وفي مؤخرها صنوه الولي الصالح البركة الأفخر، سيدي السيد جعفر، قال: فنشلا تلك السفينة من ذلك الحال، وببركتهما أخرجنا اللَّه الحق بفضل الوالي.

وأخبر الأخ الثقة البركة الصالح، أحمد الملقب بأبو السعود الرابح: أنه ضلَّ جمل له وهو معنا بسواكن، أتى إلى مُربية سيدي السيد عبد اللَّه المحجوب المذكور، وقال لها: إن جملي قد ضلَّ ولم أجد له خبر، فاستغيثي لي بالقطب الأبر، فما مضى يوم إلا ورُدَّت عليه ضالته. وكم لهذا البطل من غوث، لو تدركه غيّاثٌ.

وأخبرنا الشاب الناشئ في طاعة الرحمن، أحمد بن الحاج، كان لنا وله المنَّان: أنه قال: شردت جارية لأمنا ربة زوجة الأستاذ، وذهبت إلى موضع نصف طريق بمدينة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الملاذ، وكانت أمنا ربة تلوذ بسيدي المحجوب، وتقول له: لا أعرف بأي طريق أسلك يا الولي المحجوب، فأجابها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمطلوب، فقالت الأَمَة لما رجعت: كنت نائمة ذات ليلة عند العرب البدو الذين أخذوني، فرأيتُ سيدي المحجوب واقفٌ على رأسي، وأخذ بيدي، وأنا أنظر إليه بعيوني، وقال لها: يا نجسة أين يذهبون بك النجوس؟، قومي فقد آن أوان رجوعك لسيدتك، بحول القدوس، فانتبهتُ وأنا أرتعب من المنام، وإذا بالقوم على رأسي وقالوا لي: قومي نمضي بك إلى أهلك بالسلامة، فمن ذلك اليوم سافروا بي إلى مكة الحرام، وها أنا جئتكم. وكم من وقائع لهذا الهُمام.

وأخبرنا والده الأستاذ الختم الملاذ أنه قال: قال لي قبل وفاته بحصة بوقت قليل: ادنوا مني وسلِّم عليَّ يا والدي، كالمُوَادِع والمُكاشِف بموته.

وقال سيدي الأستاذ ختم العارفين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد وفاته: أصابني كربٌ كثيرٌ، فرأيتُ المُصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لي صاحب الفيض الغزير: لمَّا توفي ابني إبراهيم البحر الخضيم، لو عاش إبراهيم لكان نبيًا، وقد خُتِمت النبوة، ولابد من انتقاله، مقالاً جليًا، وابنك عبد اللَّه المحجوب لو عاش لاستحقَّ أن يكون ختمًا، ومقام الختمية لا يسع غيرك، أمرًا حتمًا.

والذي نجزمُ به أن كراماته وإغاثاته وفضائله يقصر عنها القلم والبنان، فلهذا قبضنا العنان، عن السبق في مثل هذا الميدان.

الخاتمة

في وفاته وموضع قبره وفضل رمسه

كان ابتداء مرضه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شهر صفر الخير من عام وفاته، لعلة الحرارة الغزيرة، وامتدّ به الحال إلى ليلة النصف من شعبان، وبها كان انتقال روحه الكريمة إلى عال الجنان، وتهنيه بلقاء الرحمن، ورحوله من دار الكدر إلى دار الرضا والرضوان، وذلك بين المغرب والعشاء، في الساعة المباركة التي يفرغ فيها كل أمر حكيم وينشأ، قيل: أن من يتوفى في تلك الساعة يتولى قبض روحه الرحمن، وذلك فضلٌ منه وهو المنَّان.

وأخبرنا العارف باللَّه صاحب الحال والتصريف، تلميذ شيخنا من أهل مكة أول من فتح اللَّه عليه بلا تحريف، السيد عبد اللَّه أبو الوجد، المُلقَّب بذلك من الأستاذ المُمِدد: أنه سمع من ذوي الوقت وغوثه وأهل تصريفه ونفثه: أن سيدي عبد اللَّه المحجوب بن الختم، تولَّى الحق قبض روحه بيده وأحسن له الختم.

وأخبرنا خادم البيت الحرام ومن أغواته، وكان صاحب حال صادق من أتباع الأستاذ الفائزين بهباته، الحاج بلال، كان له ذو الجلال: أنه رأى ملائكة صاعدين بأطباق من نور، فسألهم عن ذلك، فقالوا عليهم

السلام: روح واحد من الأفراد منظور، وهو العارف بالله الذي ببركته ينال المطلوب، المُترجَم له سيدي عبد الله المحجوب.

وأخبرنا قبل وفاته بليلة، الشاب الصالح التقي، ذرية الصالحين والأولياء تلميذ شيخنا النقي، الشيخ أحمد القطاني، كان لنا وله المنَّان: أنه رأى العارف بالله عبد الله المحجوب المذكور، راكبٌ على ناقة معمورة بالنور، فقال: له إلى أين ذاهبٌ أنت يا سيدي عبد الله المحجوب، ذو الأنس؟، فقال له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إلى حضرة القدس، التي هي مأوى أرواح الكاملين والسادات المُرسلين.

وكان يقول لنا الأستاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن موضع ومجلس ولدي عبد الله المحجوب في حضرة القدس، بجانب سيدي جعفر الصادق المحبوب، نازل بها بينه وبين أبيه الباقر. فانظروا إلى هذه المفاخر.

وكانت وفاته بطرف الحرم الشريف عند قدومهم من الطائف الظريف، ووصلوا به في تلك السويعات إلى مكة المشرفة، وغُسّل وكُفّن بها، وصُلّي عليه عند باب الكعبة المكرمة، جمعٌ من أهل بلد الله الحرام، من الأولياء والعلماء والسادات الفخام، بحضرة والده وتولّى الصلاة عليه عمه الهُمام، شيخ بلد الله الحرام في وقته، وشيخ الإسلام، الصالح البركة التقي، السيد عبد الله الميرغني النقي، ودُفِن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمعلا، القائل فيها المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذو

المنة: «يؤخذ بحافتي المعلا فيحثى بها في الجنة»، بحوطة السادات المراغنة الكرام، بين أجداده وآبائه الصلحاء الفخام، في أدنى شعبة النور، القائل فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإظهار سرها المغمور: «يخرج منها سبعون ألفًا غلى صورة القمر ليلة البدر»، وقيل: «كُلُّ واحدٍ منهم يشفع في سبعين ألفًا» بفضل البر، والرجاء أن هذا السيد المذكور من أعيانهم بفضل النور.

وكان يذكر السيد العارف باللَّه الخليفة عبد اللَّه أبو الوجد، المتقدّم ذكره: أنه أعظم من في المعلا مددًا، لزائره بعد السيدة خديجة الكُبرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا، فبشرى لنا به.

وكان يقول أخونا بلال المتقدّم ذكره: إني ما رأيت في الصالحين أحد له مدد قدره.

وقال سيدي الأستاذ الختم الأجلّ: أن عند قبره يُستجاب الدعاء، ويقبل العمل، وأن زيارته لقضاء الحوائج تُقضى له بإذن اللَّه، وينال مطلبه وأمله.

وذكر بعض الإخوان من أهل الأحوال الصادقة: أنه كلما زاره يُرى من قبره عمود نور صاعدًا، له بهجة خارقة، يمد كل زائر في ذلك الرمس الشريف.

وذكر والده الأستاذ الظريف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه باب مدده الأعلى، وترجَّم ذلك في فاتحة في الراتب الأغلى، وفي دعوة {يس}، التي تقرأ يوم الربوع، وتهدى لروحه وجنابه المرفوع.

وأخبرنا صنوه السيد الصالح، صاحب السير الحسن، سيدي بن الأستاذ السيد الحسن: أنه سمع هاتفًا يقول: أن بين قبر المحجوب وقبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بابٌ مفتوحٌ موصولٌ.

هذا وقد قصرنا العنان، في طول ميدان هذا البحث المصان، فنقولُ: اللَّهُمَّ يا من يجيب من ناداه، ولا يرد دعاء من دعاه، نسألك بأسمائك الحسنى، وتلك التي لها الشأن الأسنى، وبنبيك قطب دائرة الرسالة، وبأنبيائك وملائكتك ذوي الجلالة، وبالصحب وأهل بيت نبيك، وبكل من جعلته محبًا لك ولوليك، وبالقطب السيد المحجوب، ابن الختم سيدي عبد اللّه المحبوب، من اجتمعنا من أجله في هذا المكان الشريف، والمجلس الهنئ الظريف، لتلاوة كتاب اللّه وإهْدِائه لروحه الكريم، وقراءة هذه النبذة للتبرك بأحواله الفخيمة، نسألك اللَّهُمَّ بمن توسلنا بهم وبه، وأن تمطر علينا من أمطار نفحاته، وأن تسبحنا في بحور فيوضاته، وأن تمدنا بأسراره العظمى وبركاته الفخمى، وأن تيسر لكل من في هذا الجمع قضاء حاجاته، من أمور دنياه وآخرته، اللَّهُمَّ ثبِّتنا على محبته ومحبة آبائه الكرام، واجعل لنا الحظ الوافر من ذلك

حتى نلقاه في دار السلام، اللَّهُمَّ أدم فيضه وفيض والده علينا الهطَّال، على ممر الدهور والأيام والليال، اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يحب نبيك ويتبع آثاره، ويحب أهل بيته ومهاجريه وأنصاره، اللَّهُمَّ اجعل جمعنا لديك مقبول، وبجاههم وجاه هذا القطب المحجوب من اجتمعنا بطلب فيضه المأمول، أن تمن علينا بالسؤل، وأن تُصلِّي وتُسلِّم وتُبارِك على سيدنا مُحمَّد حبيبك الرسول، وآله وصحبه أهل الوصول. {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

وقد تمَّت هذه المناقب الشريفة للسيد المحجوب بن الأستاذ الختم الميرغني سيدنا السيد مُحمَّد عثمان، كان لي وله المنَّان، وجملة الإخوان، على يد كاتبه الفقير الحقير الذليل، مُحمَّد بن عمارة بن مُحمَّد بن حمَّاد، اللَّهُمَّ اغفر له ولوالديه ولمشائخه، ومالكه الفقيه مُحمَّد صالح بن مُحمَّد بن إبراهيم النضيف، اللَّهُمَّ اغفر له ولوالديه ولمشائخه، آمين يا رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم. انتهى.